النشاط الثقافي في الوطن العربي

العراق

الموسم المسرحي الراهن

بقلم أحمد فياض المفرجي

***

ضم الموسم المسرحي الراهن في العراق ، اكثر من مائة مسرحية ، وكان نصف هذا العدد من معطيات معهد الفنون الجميلة ببغداد ، المؤسسة الرسمية الوحيدة ، التي استطاعت خلال العشرين سنة الاخيرة ، أن تمنح الحركة المسرحية في قطرنا ، الديمومة ، وذلك بنشاطات أساتذتها وطلابها المتواصلة . ان معهد الفنون كان في ظروف عدة ، يتحمل وحده عبء العمل الجاد والصادق ، وبخاصة خلال السنتين الاخيرتين .

لم تكن هذه الميزة ، هي وحدها التي تميز بها هذا الموسم المسرحي ، بل كانت هناك ميزات اخرى عديدة ، لعل أوضحها ذاك الاندفاع نحو تحطيم هيكل الاسلوب التقليدي في العمل المسرحي ، وذلك بتبني أساليب جديدة ، في الاخراج والتمثيل ، تقف بمجموعها نقيضا صلبا أمام ذلك الاسلوب الهرم ، الذي يغذيه فنانو الجيل الثاني الذي له السطوة الان ، على سير الحركة المسرحية في العراق. ان هذا الجيل مهدد في الوقت الحاضر بالفرق ، لا لان مرحلته انتهت بحكم زوال مبررات وجوده ، بل لان نزعات خضراء نمت ، وقد ساعد على نموها مناخ الحركة المسرحية في العراق ، الذي كان مستعدا لتنمية كل نزعة ذات لون لا ينسجم مع الالوان السابقة العتيقة .

ومن مميزات هذا الموسم أيضا ، ذلك الاهتمام المعطى من الجهات الحكومية العليا ، وبخاصة وزارة الثقافة والارشاد بالعمل المسرحي ، ومن علائم هذا الاهتمام قيام محطة تلفزيون بغداد بنقل مسرحيتين من مسرحيات الموسم ، نقلا حيا الى الجمهور ، وكذلك صدور نظام الفرق المسرحية الذي اعترف لاول مرة بالكيان الفني الخاص بالفرق التمثيلية التي ظلت مرتبطة بدون حق بمؤخرات دور اللهو الليلي . والذي نتوقعه أن حركتنا المسرحية ، على اثر صدور النظام المذكور ، ستدخل مرحلة جديدة في مسيرتها الشاقة نحو منح انساننا في العراق مزيدا من الدفء والخصب . وبالفعل فقد أجيزت بموجب هذا النظام ثلاث فرق ، هي فرقة مسرح ١٤ تموز ، وفرقة المسرح الشعبي ، وفرقة المسرح الفني الحديث . ومن المتوقع ان تجاز فرقة المسرح الحر خلال شهر تموز القادم .

ومن معالم الموسم المسرحي الحالي ، صدور عدد من المؤلفات المسرحية ، منها مسرحية « اشجار الطاعون » لنور الدين فارس وكتاب « الحركة المسرحية في العراق » لاحمد فياض المفرجي ، وهو عرض تاريخي لنشوء المسرح في العراق ومسيرته ووسائل النهوض به . وفي مجال النقد الفني والادبي ظهرت أسماء جديدة ، كمولود المعيني وناهر مهدي وعبد الرحمن مجيد الربيعي وعادل كاظم وعزي الوهاب وسعدون فاضل .

أما عن المسرحيات التي احتواها الموسم الحالي ، فيصعب علينا رصدها كلها في هذه العجالة ، ولهذا فنحن نميل الى الوقوف عند عدد منها ، كمسرحيات المعهد التي أخرجها أساتذته الخمسة ، وبعض المسرحيات التطبيقية ، الاكثر نضوجا ، التي اخرجها طلبة أقسام المعهد الثلاثة ، وهي اعداد المعلمين واعداد المدرسين والقسم المسائي ، كما لن ننسى المسرحية اليتيمة التي قدمتها مصلحة السينما والمسرح في موسمها الجديد على مسرحها الصغير في كرادة مريم بجانب الكرخ.

والمسرحية الاولى التي عرضت في الموسم الرابع لمعهد الفنون ، هي مسرحية « افكار صبيانية » لكوارد ، واخراج بهنام ميخائيل . وقد جاءت هذه المسرحية « منسجمة مع الخط الفني والروحي الذي اختاره بهنام لنفسه منذ عودته الى العراق من اميركا . وقد توضح هذا الخط في مسرحية « مسمار جحا » لعلي أحمد باكثير ، والتي عرضت في الموسم السابق ، وتأكد وتجسد في « افكار صبيانية » ، ففي المسرحيتين تطفو روح المحبة والتسامح ذات الطابع الديني ، فوق كل الاعتبارات المنطقية والعقلية . وهذه الروح التي يحرص بهنام ميخائيل على اظهارها في انتاجاته تتنافى والامانة للنص الذي وضعه المؤلف ، وهي بمثابة تزييف لسير حركة التاريخ وتطور العلاقات الاجتماعية ، كما ان ذلك افتعال لا مبرر له في جو لا يحتمل المساومة ، والذي أستطيع قوله هنا ان بهنام انسان فنان يؤمن بالغاية ولا يعير للوسيلة في مجال الاخراج أي اهتمام ، انه يتحرك في جو الصخب والالتواء ، وفوق أرض الشوك والصخر بقصد بلوغ الهدف وتحقيق الاصابة التي يقتنع هو على الاقل بها » (١) .

وبعد « أفكار صبيانية » عرضت مسرحية « مسألة شرف » وهي باللهجة الشعبية البغدادية ، ألفها وأخرجها عبد الجبار ولي ، المدرس في قسم اعداد المدرسين بمعهد الفنون الجميلة . وقد نجحت هذه المسرحية تجاريا وفشلت فنيا وأدبيا ، ووجه النجاح هو ذلك الجمهور الكثيف الذي حقق للمعهد أرباحا ، ربما لم يحصل عليها من غير هذه المسرحية . والواقع ان اقبال الجمهور على مشاهدة هذه المسرحية ، لم يتحقق الا بوجود دافع واحد ، لا ثاني له ، ألا وهو كون المسرحية باللهجة الشعبية . وهذا هو الذي يدفعنا لان نطالب بالمزيد من المسرحيات الشعبية ، فبهذا وحده نستطيع تكوين جمهور مسرحي لحركتنا المسرحية . اما عن فشل « مسألة شرف » فنيا وادبيا ، فذلك ملحوظ ، في كون موضوع المسرحية يرتبط روحيا بالموضوعات الساذجة التي كان يقدمها لنا كتّاب المسرحيات الرواد ، خلال العقود الثلاثة الاخيرة من النصف الاول من هذا القرن ، كما ان اختيار المؤلف لشخوصه كان لا منطقيا . فعندي انه ليس من الممكن أن تنهي فتاة دراساتها الابتدائية والمتوسطة والاعدادية ، ثم تصل الى الصف المنتهي في الجامعة ، ثم يتدخل والدها ، في مجرى حياتها الدراسية ، ويحاول قطعه ، لانه يعتقد بعدم جدوى خروج ابنته من البيت الى خارجه بقصد الدراسة ، ولا يشفع هنا ، وجود خال البنت في البيت ، لحمايتها من سطوة الاب ذي التفكير الرجعي ، المشدود الى التقاليد ، التي فقدت مبررات وجودها في عصرنا . وبالاضافة الى ذلك ، فان مسرحية « مسألة شرف » ليست من الفن بشيء لانها جاءت تصويرا فوتوغرافيا للواقع بكل تفاصيله وتشعباته ، وهذا اسلوب

(١) « الحركة المسرحية في العراق » للمفرجي ، ص ٧٤ .

بدائي لا يرتضيه حتى الطبيعيون ، على اعتبار ان الفن تهذيب وتكثيف ورؤيا خصوصية للواقع .

انني أكتفي بهذه الملاحظات ، حول مسرحية « مسألة شرف » . وسوف يجد القراء نقدا مفصلا لمسرحية عبد الجبار ولي في دراسة خاصة أضعها عن التأليف المسرحي في العراق .

وكانت المسرحية الثالثة في هذا الموسم ، هي « القيثارة الحديدية » للكاتب الايرلندي جوزيف اوكونور ، وقد اخرجها جعفر السعدي ، وهو أحد فناني الجيل الثاني في حركتنا المسرحية ، وكان في شبابه مسرحيا نشطا مبدعا ، الا انه تكاسل بعد عودته من أميركا ، وحصوله على شهادة « الماجستير » ، فهو الان اشبه بموظف رسمي ، ملتزم بوقت محدد وواجب مرسوم . وقد انعكس هذا التحول في شخصية وسلوك السعدي على الانتاجات المسرحية التي يقدمها على مسرح المعهد ، تنفيذا لمقررات مجلس الاساتذة .

ويقف ابراهيم جلال ، مخرج مسرحية « مكبث » لشكسبير ، في جانب مناقض للجانب الذي يحتله السعدي . ان ابراهيم جلال فنان ، ينبض الزمن بجوار قلبه ، ومن هنا جاء حرصه على التصابي في سلوكه وفنه ، ففي كل نتاج يعرضه لون جديد فيه تحريض لحواس الشاهدين ، وهذا ما لمسناه في مسرحيته « مصرع كليوباتره » لاحمد شوقي التي عرضت في الموسم السابق ، و « مكبث » شكسبير التي اخرجها في الموسم الاخير .

وكانت « البخيل » رائعة موليير ، المسرحية الاخيرة ، التي ختم بها الموسم المسرحي الرابع للمدرسين . وهذه المسرحية ، سبق وأن أخرجها مخرجها الحالي ، وهو جاسم العبودي ، لحساب النادي الثقافي المسيحي في الموسم المسرحي لسنة ١٩٦١ – ١٩٦٢ . وكانت التفانة ذكية من العبودي ، حين لجأ الى تقريب هذه المسرحية ، الى الواقع العراقي ، من خلال بعض شخوصها ، مثل « المعلم جاك » الذي مثله الفنان فوزي مهدي . وعندي ان العبودي ، أنجح مخرج عراقي لاخراج المسرحيات الكوميدية .

ومن محتويات هذا الموسم ، مسرحية « تاجر البندقية » لشكسبير، التي أخرجها سامي عبد الحميد مدير قسم المسرح في مصلحة السينما والمسرح ، وهو خريج أحد المعاهد الدرامية في بريطانيا ، ويبدو لي ان سامي عبد الحميد ، قد حقق نجاحا ملحوظا في تقديمه لهذه المسرحية في العراق ، وذلك بفضل مشاهداته المتواصلة للمسرحيات الشكسبيرية في موطن دراسته الفنية العالية . وبالرغم من ذلك النجاح « الشكلي » الذي كسبه سامي عبد الحميد ، فهو لم يستطع استخراج « الزبدة » المكثفة ، وتقديمها الى المشاهدين ، علما ان الزمن الذي استغرقه العمل في انتاج « تاجر البندقية » قد جاوز خمسة اشهر . وهذا أطول زمن يحظى به انتاج مسرحي واحد في تاريخ الحركة المسرحية كله .

تلك هي أهم وأبرز النتاجات المسرحية التي احتواها الموسم المسرحي الراهن ببغداد ، والتي اخرجها المخرجون الإساتذة ، الذين يحملون شهادات عالية من معاهد اجنبية ، أما المسرحيات التي اخرجها مخرجون جدد شباب ، فكانت على العموم تمثل اتجاهات متعددة ، وكثير منها كان ذا مستوى فني جيد ، وبين هذه النتاجات ، ثلاث مسرحيات ، حظيت باهتمام خاص من رواد مسرح معهد الفنون ، بسبب كونها عرضت بأساليب جديدة ، لم يألفها جمهور المسرح ببغداد، وهذه المسرحيات هي « القاعدة والاستثناء » لبريخت ، اخراج علي رفيق توفيق ، ومسرحية « حلاق اشبيلية » ، اخرجها سامي السراج على مسرح دائري وبطريقة التمثيل الصامت « البانتوميم » ، والمسرحية الثالثة هي « تاروتزيمي » من اعداد يوسف حسين عن قصة يابانية ، وقد اخرجها عبد المرسل الزيدي ، وبالمناسبة نشير الى ان عوني افرام كرومي ، كانت له الإسبقية في الاخراج على المسرح الدائري ، حيث قدم مسرحية دينية على مسرح النادي الثقافي المسيحي ببغداد .

واذا كانت ثمة كلمة ينبغي ان تقال ، فهي ان الموسم كان ناجحا ، وان مكاسب طيبة قد تحققت فيه ، وان امالا عديدة كانت خاملة في السنتين السابقتين قد استيقظت الان . وكلنا ثقة بأن الموسم القادم سيكون علامة متميزة بين المواسم المسرحية التي مرت في تاريخ حركتنا المسرحية .

بغداد — احمد فياض المفرجي

الاردن

« الافق الجديد » وادب النكبة :

***

في مستهل عامها الرابع ، أصدرت مجلة الافق الجديد عددا ممتازا في ادب النكبة .. وقد كان العدد حافلا بالبحوث والقصائد والقصص، بالاضافة الى استفتاء حول السؤال التالي : – « ليس في ما نشر حتى الان من ادب النكبة ، ما يستحق ان يخلد باعتباره وثيقة وجدانية ، ولم يوافق اغلب الكتاب على هذا الرأي ، فاصروا على وجود ادب في مستوى النكبة ، ولكنه قليل .. اما تعليل ظاهرة التخلف فقد عزيت الى ان النكبة لم تختمر بعد في النفوس .. والى ضعف الادوات الفنية في اشكالها واساليبها ، والى انعدام وجهة النظر المتبلورة لدى اغلب الكتاب ومن ثم يلتجئون الى الالتزام الخارجي .

ثمة بحث اخر جاء بعنوان « معالم شعر النكبة » بقلم محمد خالد البطراوي .. والنقطة التي ينطلق منها الكاتب هي ان ادب النكبة دون النكبة نفسيا .. ومن ثم يتساءل عن سبب ذلك !! ويقارن موقف الاديب العربي من النكبة بمواقف هيمنغواي وبابلو نيرودا ولوركا وسارتر ومالك حداد من مآس أقل فجيعة من مأساتنا مع الفارق الكبير بين ما انتجه هؤلاء وما قصر عنه اولئك ، ويعمد الكاتب من ثم الى تصنيف الشعر على اساس مرحلتين تاريخيتين : – ما قبل النكبة .. وما بعد النكبة .

في المرحلة الاولى ، يرى ان القضية عند شعراء هذه المرحلة كانت مجرد حوادث فردية متباعدة لا ترتبط واحدتها بالاخرى ارتباطا موحد الاتجاه والنظرة ، وتتحدث بمثالية مفرطة عن المواقف الفردية التي لا ارضية فكرية لها بالاضافة الى الجلجلة والوعيد .. ويضيف الكاتب بأن الشعر في هذه المرحلة يعكس الوضع الاجتماعي والفكري كما ارادته سلطات الانتداب .. ويعتبر أن انفعالات الشعراء والادباء ايضا كانت تنعكس بصدق عن واقع مريض ضبابي الملامح .. واما الشكل الفني لشعر هذه المرحلة فهو مجرد اقتفاء لاثار القدامى واعتناء كبير بالزخرف اللفظي .

اما في المرحلة الثانية .. فنلاحظ ان الاشكال التعبيرية الشعرية

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

قد تطورت .. ولكن اين مكان الشاعر من القضية ؟؟ والجواب انه يعيش خارج النكبة ، ولا تكاد أعماقها السحقية ان تثير لديه الا انفعالات ذهنية .. ومن ثم يتساءل الكاتب : هل اختط اديبنا لقضيته فلسفة واضحة المعالم ؟؟ وفي النهاية يتعرض الكاتب لبحث مدى ارتباط الشعر بحياتنا ، فيقرر بأن الشكل القديم قد استنفد اغراضه..وفرضت الاشكال الجديدة نفسها نابعة من الضرورات الاجتماعية .. ولكنه لا ينسى ان يتحدث عن امراض الشعر الحديث كالانعزالية والاسفاف والانغلاق والغربة والاكاديمية . فابتعاد الشاعر عن واقعه الاجتماعي وحاجته الى فلسفة ، وعجز الاشكال الشعرية القديمة ، وامراض الطفولة في الشعر الحديث .. هذه القضايا مجتمعة تجعلنا نؤكد بأن الشعر العربي في مرحلته التاريخية الحاضرة قلق ، يعاني ازمة تعبير شديدة الوطأة .. هذه الازمة تنعكس بكل وضوح على شعر ما بعد النكبة .. ففي السنوات الاولى التي تلت النكبة كان الشعر صراخا وعويلا وصيحات حماسية مرتجلة وصورا فردية شاحبة التجربة . وجاءت فترة اخرى بعد شعر العويل ، وما زالت حتى الان، حيث اتجه الشعر اتجاها جديدا: هو الحزن الرومانسي للشاطىء والبيارات والزيتون والكرمة ..فابتعد الشاعر عن ارض واقعه الحي ليجتر هذه الذكريات بشكل سقيم .

ومن ضمن البحوث النقدية .. نقرأ تحت عنوان « الطريق الى بئر السبع ، ليست رواية النكبة » بحثا للكاتب خليل السواحري . فالرواية الانجليزية ايشيل مانين تكتب عن مأساة فلسطين .. وهذا عمل يستوجب الشكر ، ومع هذا ، فان المناقشة الموضوعية لهذه الرواية باعتبارها عملا فنيا امر لا بد منه .. وقبل ان اعرض لرأي الكاتب في الرواية ، اود ان اذكر رأيا لفادة السمان في نفس العدد من المجلة حول هذا الموضوع .. تقول غادة بان ايشيل مانين استطاعت ان تخلد نكبة العرب في فلسطين في رواية مبدعة . وفي لقاء مع محمود تيمور في نفس العدد من المجلة ، يجيب على سؤال : ـ بماذا تفسرون نجاح ايشيل مانين في كتابها الطريق الى بئر السبع ، يجيب محمود تيمور قائلا : ـ المستوى الادبي للكاتبة الانجليزية مرتفع ، فاستطاعت بفنها المحكم ان تزودنا بصورة فنية عن الموضوع . اما رأي خليل السواحري في الرواية فقد كان موضوعيا الى حد يجعله التقييم الصحيح لهذه الرواية .. فطابع النكبة لم يكن بورجوازيا ، وانما الشعب الفلسطيني بمختلف فئاته هو الذي وقعت عليه النكبة وبه اخذت ابعادها التاريخية والانسانية .. فنكبة الاسرة التي تغادر بيتا لها في فلسطين الى بيت اخر لها في الاردن ، يختلف تماما عن نكبة الشعب.ويضيف السواحري: بوسع الكاتب من خلال رصد مأساة فردية واحدة ان يوحي بمأساة جماعية شاملة .. ولكن صحة هذا الرأي ، لا تحتم صحة تمثل الكاتبة في هذه الرواية .. فمأساة فلسطين لا تتمثل في الواقع في مأساة فرد او افراد خرجوا من بيت الى بيت ، وانما هي مأساة شعب باكمله خرج الى حيث لا وطن . ومن ثم يعزو الكاتب اسباب اختيار الكاتبة لهذه الاسرة لتكون نموذجا للمأساة بقوله : قد يكون مزاج الكاتبة الارستقراطي له دخل في هذا الاختيار ، فهي لم تعايش المخيمات فترة تكفي للتمثل الروائي .. او ربما كانت الايديولوجية الفكرية لديها تفرض عليها مثل هذا التناول البورجوازي غير الموفق للقطاع المنكوب . هذا فيما يختص بمضمون الرواية .. واما من ناحية الشكل الفني ، فان الكاتب يشير الى اخطاء فنية مثل الرصد الخارجي للمأساة،وحشر المشاهد الخارجية التي لا تمت الى صلب الرواية بسبب ، والتي لا تناسب الا الريبورتاجات الصحفية .. والوقوع في الخطابة والتقرير ، بالاضافة الى شحوب التبريرات الفنية لبعض أحداث الرواية .

اجمالا ، ورغم ما في هذا العدد من مواد قليلة القيمة ، الا انه يعتبر دعما جديدا لادب النكبة وبحوثها بعد العدد الممتاز الذي قدمته مجلة الاداب .

القدس — محمود شقير

يسر دار الاداب ان تقدم

عبد الوهاب البياتي

في مجموعته الشعرية الجديدة

سفر الفقر والثورة

وفيها يسترد الشاعر وجهه

العربي الاصيل ويعبر عن

اعمق هموم جيلنا الثائر

يصدر في الشهر القادم

ليبيا

اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب

***

عندما استمع المثقفون والمهتمون بشئون الفكر الى القرار الوزاري القاضي بتشكيل لجنة تهتم بازدهار حركة الاداب والفنون في ليبيا، لم يهتموا بذلك كثيرا ، ولم يعطوه الاهتمام اللائق ، حتى ان الموضوعات التي ظهرت على الصحف الليبية ، لم تكن تحمل طابع الجدة والاهتمام وانما هي كتابات نظرت الى القضية من الخارج تحمل طابع التهليل والابتهاج ، ودعوة الكتاب ان يهجروا الكسل ، ويبعدوا عن انفسهم روح التشاؤم ، كذلك كانت المقالات باقلام لا تحس المشكلة ولا حتى تدري عنها ، فانا ـ مثلا ـ لم اقرأ لكاتب من كتابنا المعروفين حول « اللجنة العليا للفنون والاداب » اذا استثنينا تلك المقابلات التي عقدتها احدى الصحف مع بعض الكتاب .

وانتهى القرار الى تشكيل اللجنة ، وقد كان الاختيار موفقا ،فكل الاعضاء معروفون بمعاناتهم لمشاكل المثقف الليبي ، وبمساهمتهم في سير النهضة الثقافية ـ على قلتها ـ ولا غرو فقد كان الاستاذ خليفة التليبي ـ وزير الانباء والارشاد ـ احد هؤلاء الذين ساهموا وعايشوا الازمة . وبدأت اجتماعات تعقد ، ولا احد من المثقفين مهتم بالامر وكأنه لا يعنيه، حتى الاخبار لا نكاد نسمعها الا من خلال الاخبار الرسمية .

الى أن كانت المسابقة التي اعلنت عنها اللجنة في جميع فروع المعرفة من أدب وتاريخ واجتماع واقتصاد وجغرافيا ، وفنون تشكيلية .

وقد كانت الجوائز مغرية في جملتها ، ولا بد ان يكون لها نتائجها المثمرة التي سنكتب عنها في حينها ، وهو مجهود لا شك اننا نشكر عليه اللجنة ، ونتمنى ان تنبثق اجتماعاتها المقبلة عن قرارات ومشاريع اخرى.

واذا كانت هذه الكلمة تحمل الاماني الطيبة ، والامال المشرقة .. فانه لا بد لنا من ان نذيلها ببعض الاراء التي قد تفيد . فالجوائز التي اعلنت عنها اللجنة لا تخص كل المثقفين ، وانما هي تتعلق باعلى فئة في هذه الطبقة ، ونرجو ان تهتم اللجنة باولئك الذين لا زالوا على الدرجات الاولى من السلم الثقافي الطويل . ثم لنفرض مثلا ان ليس في هذه الطبقة ـ طبقة المثقفين من يستطيع ان يرتقي الى مستوى الجوائز المعلن عنها وشروطها . الذي اريد ان اقوله ان تهتم اللجنة بما يخلق في المجتمع جوا فكريا نظيفا يساعد المبتدىء على الاطلاع والاحتكاك ، ويخلق في صاحب الخبرة روح الخلق والابداع . ان انشاء مجلة ادبية شرط اساسي ، وشيء لا بد من وجوده حتى تربط بين الكاتب والقارىء وتعرفه به . وانشاء المكتبات الزاخرة الوافية ، والنوادي الادبية الثقافية ،من شروط الازدهار والتقدم ، ولا بد للجنة لتثبت وجودها واستعدادها ان تنشئها وترعاها .

فكيف نطلب من مفكر لا يعرفه قراء بلده ان يبدع ويؤلف ، ومن اين تأتيه الروح الخالقة الصابرة على صناعة الحرف المعبر البناء ،وهو لا يجد اين ينشر بحثا او قطعة ادبية .

اننا نسجل للجنة العليا لرعاية الفنون والاداب حسن صنيعها ، وننتظر الكثير على يديها ولعل المستقبل سيرينا خيرا .

صبراته ـ ليبيا — **محمد السايح يوسف**

مندور الانسان

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢ ـ

فقد اسهم في اشاعة الادب المسرحي والنقد المسرحي ، ودرس طلاب المعاهد العليا ، وكان له في كل الوان النشاط المسرحي الرسمي والحر اثر واضح ومشاركة فعالة .

ـ ٦ ـ

وانقطع أنا عن القاهرة ثم اعود اليها .. ثم انقطع عنها ثم أعود اليها مشاركا في تيار الحياة العامة .. وأجد فرضا علي أو ما يشبه الفرض أن ازور « الروضة » وأن ألقى الدكتور مندور وأن ألقى السيدة الزميلة ملك عبد العزيز ، فأنعم بضيافتهما وعنايتهما . ولكني في كل ذلك لم أكن أنقطع عن انتاج مندور الا وقت شاءت الاحداث السوداء الاضطرارية ان تحول بيني وبينه في بعض الفترات او السنوات .

ويظل الدكتور مندور الانسان يملأ قلبي .. في حياتنا ، هنالك الذين تحاول ان ترضى عن علمهم أو عن عملهم أو عن بعض مظاهر شخصيتهم ، ولكنك تجد انك مصروف عنهم بحكم هذا الغموض الخلقي الذي تحسه منهم .. انك لا تعرف أهم مخلصون أم منافقون ؟.. ناس فضلاء أم ناس من ناس هذا الدهر الذين ينثرون بين يديك كل « المجاملات » ويمنعون عنك شربة ماء .. يحدثونك عن شوقهم اليك وعن موعد لقاء معهم وهم يبيتون موعد سفر طويل .. ويحدثونك عن المثل والدين والعربية وليس في حيانهم ـ في صميمها ـ من ذلك الا ظلال وأطلال .. ولكن الذي يميز الدكتور مندور انه يأخذك صادقا من كل أطرافك ، ويرضيك منه عقله وقلبه واحساسه .. انه ، ببساطته الآسرة ، كأنما يغزوك ويستولي عليك .. ان شخصيته التي هي مزيج من البساطة ، والصفاء ، والاخلاص ، وتفكيره الذي هو مزيج من العمق، والاصالة ، والمقارنة ، وانسانيته التي هي احساس دقيق بالاشياء وتعاطف معها .. ان هذه الاشياء قلّ أن تلتقي في انسان بعينه هذا الالتقاء الكامل الذي توفر عند الدكتور مندور .

وعلى كثرة ما أتيح لي أن أعرف من أساتذة وزملاء في القاهرة خلال كل السنوات التي قضيتها هناك ـ فأنا لم أسمع من الدكتور مندور كلمة نابية في حق واحد من أصدقائه أو خصومه .. ترى أكان له خصوم ؟.. لا يبدو .. ومن الذي يقوى أن يخاصم مثل هذا الانسان الصافي ؟

كل الذي كان يكون منه انما كان نقداً مهذبا لبقا .. وأبعد ما كان يبلغ ، أن يسوق نقده مساق النكتة اللطيفة ، الذكية ، الموجزة ، التي تحسن الوقوع على الاشياء في صميمها .

ـ ٧ ـ

لقد كان انسانا .. وكان انسانا قويا غالب الموت منذ نحو خمس عشرة سنة حين أجريت له العملية الجراحية في لندن .. منذ ذلك اليوم كنا نشفق على الدكتور مندور بمقدار ما كنا نجله ونكبره .. ولكنه كان انسانا يحيا في محبة اخوانه وأصدقائه ، ويحمل أعباء أمته ووطنه وأسرته .. فأما أسرته فقد حملت معه هذه الانسانة النبيلة العبء فنهضا بهذه الاسرة التي أنبتاها .. وأما وطنه فقد ظل يحمل أعباءه ويفكر في قضايا مجتمعه كلها حتى غلبه الموت .

في مؤتمر الادباء في بغداد ، دار السلام ، كان لقاء الكثيرين من الذين أحبوا الدكتور مندور .. أكان ذلك ارهاصا بوداع لا لقاء بعده الا حين يرث الله الارض ومن عليها .. ولكنك لم تمت أيها الانسان الكبير ، فقد خلدتك انسانيتك وآثارك .. وسلام عليك في الخالدين .

فاس « ظهر المهران »

كلية الاداب والعلوم الانسانية — **شكري فيصل**